

أفراح ورهق معرب للخليفة عبد الملك بن مروان

بقلم : الدكتور عيسى سلمان

مدير الآثار العام

الخليفة عبد الملك، هو أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم، ولد سنة ست وعشرين هجرية بالمدينة المنورة، وأمه عائشة بنت معاوية بن الوليد بن المغيرة. بوبع بالخلافة في شهر رمضان سنة خمس وستين هجرية، (٦٨٥م) وتوفي في منتصف شوال من سنة ست وثمانين هـ (٧٠٥م) ودفن في دمشق وكان عمره ستين سنة. وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً. وقد أورد كتاب السير والمؤرخون صفات عبد الملك بن مروان فوصف بما يلي: كان عبد الملك بن مروان عاقلاً حازماً أديباً لبيباً عالماً ملكاً جباراً قوي الهيئة شديد السياسة حسن التدبير للدنيا. وكان قبل الخلافة أحد فقهاء المدينة وكان يسمى

حسامة المسجد مداومته تلاوة القرآن • قال الشعبي: ما ذكرت أحداً الا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك بن مروان فاني ما ذاكرته حديثاً الا زادني فيه ولا شعرا الا زادني فيه^(١) • وكانت ترجمة هذه القابليات مجموعة من الاعمال الخالدة الفذة التي خلدهت كما وتشير الى العقلية الجبارة والعزيمة القوية والعبقرية العربية التي حركها الاسلام، وكانت حصيلة ذلك الحضارة العربية الاسلامية، وما قدمته للانسانية في مختلف مجالات الحياة • عمل الخليفة عبد الملك على حدّ للاضطرابات التي سادت بعض أقاليم العالم الاسلامي وتمكن وخلال فترة قصيرة من أن يقضي على الفتن، ويقيم وحدة داخلية قوية متوطدة •

في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، ص ٨٩-٩١
مصر ١٩٢٧ •

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٤
ص ٢١٤، ليدن، ١٨٦٧، ابن الطقطقي، الفخري

والتفت بعد ذلك الى اكمال انجاز ما تطلبته الدولة العربية الاسلامية من مستلزمات الدولة لتكون في وضع يضاهاى الدول المعاصرة آنذاك وتتفوق عليها بفتحها ونموها المطرد . واتخذ الخليفة مجموعة من القرارات التي زادت في قوة الدولة ووحدة أقاليمها ، فأقدم على تعريب الدواوين وفحص الاوزان والمكاييل وتعريب السكة . وتعتبر هذه القرارات الثلاثة من مستلزمات الدولة المستقلة ذات الكيان الموحد . وكان لهذه الانجازات أهمية عظيمة في تاريخ الحضارة الاسلامية اذ ثبت الخليفة صيغها واضحة وأساليب جديدة أكمل بها ما بدأه الخليفة عمر بن الخطاب في تنظيم أمور الدولة والامة الاسلامية .

وبالاضافة الى ذلك فقد أنجز الخليفة مشاريع أخرى ذات أهمية كبيرة في تاريخ الحضارة ففي فلسطين تشمخ قبة الصخرة وتباهى بما يزين جدرانها من رسوم فسيفسائية وكتابات عربية تذكرها تاريخ الانشاء سنة ٧٢ هـ ، وفي العراق تقوم واسط الحجاج وفي مكة نقض الخليفة الكعبة وردّها الى ما كانت وأخرج الحجر منها ورفع بابها^(٢) . وفي أيامه فتح موسى بن نصير كثيرا من أعمال المغرب^(٣) .

واتفق المؤرخون على ان أول من ضرب الدنانير والدرهم في الاسلام هو الخليفة عبدالمك بن مروان وكان ذلك سنة ٧٦ هـ . ولكن أقدم ما وصل الينا من السكة المعربة يعود في تاريخه الى سنة ٧٧ هـ وهي دنانير قليلة تحمل هذا التاريخ .

(٣) ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٨٩ . تحقيق الدكتور مصطفى جواد - بغداد . ١٩٧٠ .

(٢) ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٨٩ . تحقيق الدكتور مصطفى جواد - بغداد . ١٩٧٠ .

سنة ٧٥هـ والذي يمثل المرحلة الأولى من مراحل مركز الوجه :

لا اله الا
الله وحده
لا شريك له

هامش الوجه :

محمد رسول الله ارسله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله

أما مركز الظهر :

الله احد الله
الصمد لم يلد
ولم يولد

هامش الظهر ،

بسم الله ضرب هذا الدين
في سنه سبع وسبعين

التعريب (الشكل ٢) ، وهو درهم عربي مضروب على الطريقة الساسانية وتزين مركز الوجه فيه صورة للملك من ملوك ايران قبل الاسلام . أما مركز الظهر فمزين بصورة الخليفة عبد الملك بن مروان . هذا بالإضافة الى رسوم أهلة ونجوم وكتابات بخط كوفي متقن تشابه حروفه مع حروف الكتابات المنقوشة على درهم الخليفة عبد الملك المضروب سنة ٧٨هـ . فمركز الوجه مزين بصورة نصفية لكسرى الثاني الى يسارها كتابة كوفية نصتها « ضرب في سنة خمس » وعلى جهة اليمين تكلمة النص « وسبعين » . أما

الهامش فنقش عليه ما يلي « لا اله الا الله وحده محمد رسول الله » مع أهلة ونجوم تفصل بين كلمات هذه العبارة . أما مركز الظهر فمزين بصورة الخليفة عبد الملك بن مروان واقفا ومقلدا سيفاً والى يسار الصورة كتابة تقرأ « أمير المؤمنين » والى يمينها « خلفت الله » . والمركز محاط بثلاثة أشرطة محببة وتتوزع على الشريط الخارجي منها أربعة أهلة بنجوم وعلى مسافات متساوية .

ان الشبه هنا يقتصر على أسلوب الخط الكوفي فقط وأما المضمون والتوزيع فانهما يختلفان تماما . ففي درهما الفريد صيغة جديدة تشابه

الى حد ما مع صيغة الكتابات الكوفية المنقوشة على أقدم دينار كامل التعريب يحمل تاريخ ٧٧هـ (الشكل ٣) . فهذه الكتابات تشابهه في أسلوب خطها وبعض مضمونها مع كتابات الدرهم المؤرخ ٧٨هـ وعلى هذا الدينار تقرأ كما يلي :

لا يفصل بين الكتابات المنقوشة في المركز في الوجه والظهر شريط محبب ، بل يحيط بالكتابة كلها شريط محبب . أما الدرهم المؤرخ ٧٨هـ فهناك شريط يفصل بين كتابات المركز والهامش في الوجه والظهر بالإضافة الى شريط آخر خارجي يحيط بالكتابات والاختلاف هنا في ان الكتابة على هامش الوجه لم تكمل أي لم تكمل الآية القرآنية أي لم تنقش « ولو كره المشركون » في الهامش ولم تنقش كذلك في مركز الظهر « ولم يكن له كفا احد » . حيث اكملت هاتان الآيتان في الدرهم المؤرخ ٧٨هـ .

واكتمالا للفائدة فمن الضروري أن تقارن الكتابات المنقوشة على درهم ٧٨هـ مع تلك المنقوشة على درهم مؤرخ ٧٩هـ والذي كان يعتبر أقدم درهم معرب قبل العثور على هذا الدرهم الفريد . وقد نقشت العبارات التالية ، على درهم مؤرخ ٧٩هـ ومضروب في مدينة البصرة (الشكل ٤) :

هامش الوجه :

بسم الله ضرب هذا الدرهم
بارمينية في سنة ثمان
وسبعين

مركز الظهر :

لا اله الا
الله وحده
لا شريك له

هامش الظهر :

محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله
ولو كره المشركون

الوزن ٣غم ، القطر ٢٧مم ، رقمه ١٤٤٧٢ - مس

وبلاحظ في الكتابات المنقوشة على هذا الدرهم
النادر ، خصوصا اذا ما قورنت بالكتابات المنقوشة
على الدراهم والدنانير العربية التي تعود الى زمن
الخليفة عبدالملك ، ان كتابات الوجه فيه نقشت
على الظهر في الدنانير والدراهم المقاربة . وهذا
قد يثير مسألة وهي ان درهم عبدالملك هذا مزيف . وقد
دفعنا هذا الشك الى ارسال الدرهم الى المتحف
البريطاني لفحصه في مختبره والتأكد من اصلته .
وقد استلمنا الجواب قبل تحرير هذا البحث ، وقد
ثبت في التقرير وبعد فحص الدرهم ان ليس هناك
من شك في صحته وانه غير مزيف .

أما بخصوص مدينة أو مكان الضرب فان
دrehma هذا ضرب في ارمينية . وارمينية هي
واحدة من أماكن ضرب الدراهم في العصر
الأموي (٤) .

ويظهر الشبه واضحا بين اسلوب خط
الكتابات المنقوشة على هذا الدرهم ودرهم مؤرخ

اختفت التصاویر التي تشير الى دين الدولة
ورئيسها في المسكوكات الاسلامية العربية وحلت
محلها كتابات تذكر مبادئ مهمة من الدين
الاسلامي . وظلت هذه الصيغة التي أمر بها
عبدالملك بن مروان سائدة لقرون عدة في جميع
أنحاء العالم الاسلامي مع اختلافات بسيطة في
مضمون الكتابات التي كانت تنقش على المسكوكات
في شرقي العالم الاسلامي وغريه ، كما اختفت
رسوم النجوم والأهلة التي كانت تزين الدراهم
الساسانية ، وصار ترتيب النصوص بشكل أفقي
تملأ به مراكز الدراهم والدنانير وتذكر فيها آية
قرآنية وبشكل طوق أو هامش يحيط بما يكتب في
المركز ويذكر فيه تاريخ الضرب واسم المدينة .
وثبت الخليفة عبدالملك عدم ذكر اسم المدينة أو
اسم الخليفة على الدنانير وانما التاريخ فقط . أما
الدراهم فكان يذكر فيها التاريخ ومكان الضرب ،
واستمرت هذه الصيغة سارية المفعول لقرون عديدة
في أغلب أنحاء العالم الاسلامي ، ولم يتمسك بها
عند ضرب نقود الصلّة والافراح أو نقود
المناسبات .

أما الكتابات المنقوشة على درهم الخليفة
عبدالملك فهي بخط كوفي متقن وواضح جدا وهي
كالآتي (الشكل ١) :

مركز الوجه :

الله احد
الله الصمد لم
يلد ولم يولد
ولم يكن له
كفوا احد

(٤) الدكتور عبدالرحمن فهمي ، موسوعة النقود العربية وعلم النميات ، فجر السكة العربية ، ص ٣٢٨ . مط . دار الكتب - القاهرة ١٩٦٥ .

التي تشير الى دوافع دينية وعسكرية وتجارية^(٥) . ولكن الفحص الدقيق لهذه النصوص والاطلاع على مجمل الامور الداخلية والخارجية التي مرّ بها العالم الاسلامي آنذاك وطموحات الخليفة العبقري أمور تكشف عن الاسباب والدوافع الحقيقية العملية التعريب . وكانت الدوافع السياسية والاقتصادية والقومية هي التي دفعت الخليفة الى تبني هذه العملية الجبارة . أراد عبدالمك أن يحصر حق ضرب الدينار والدرهم بالخليفة نفسه تعبيرا عن وحدة الامة التي أوجدها بعد الانقسامات والاضطرابات التي سادت العالم الاسلامي منذ مقتل الخليفة عثمان بن عفان . وقد صرف الخليفة سني

حكيمه الاولى في وضع حدّ لتلك الاضطرابات وتحقق ذلك فعلا . واذا ما أخذنا تعريب المسكوكات بنظر الاعتبار فقد ضرب الولاة وقادة تلك الاضطرابات نقودا بأسمائهم فتعددت مراكز الضرب وتوعدت المسكوكات في جودتها وردادتها . وعمل الخليفة عبدالمك على اعطاء الطابع العربي للدولة وتثبيت حقيقة واقعة . وهي سياسة رسمها الخليفة ونفذها بكل دقة وذكاء وكانت النتيجة أن صار للدولة ذلك الكيان الواضح وأضحت من مراكز قوتها تتعامل مع الدول المعاصرة والمجاورة . أما العامل الاقتصادي فله أهمية خاصة في عملية التعريب ، خصوصا اذا ما علمنا ان علاقات الدولة العربية الاسلامية التجارية كانت نشطة مع الدول الاخرى . وما من شك في ان رسم سياسة اقتصادية وعلاقات تجارية دقيقة لا يمكن أن تكون ان لم تكن للدولة عملة خاصة بها وهي تشرف مباشرة

فمركز الوجه مزين بما يلي :

لا اله الا
الله وحده
لا شريك له

والهامش :

بسم الله ضرب هذا الدرهم
بالبصرة في سنه
تسع وسبعين

أما الظهر فالمركز يشمل على :

الله احد الله

الصمد لم يلد

ولم يولد ولم يكن

له كفوا احد

الهامش :

محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

ويلاحظ اختلاف في عدد الاطواق التي تحيط بالكتابات ووجود الحلقات على الدرهم الذي ضرب سنة ٧٩هـ وفي مدينة البصرة . هذا بالإضافة الى ما ذكر سابقا من ان وجه درهم ٧٨هـ يناظر ظهر درهم ٧٩هـ والعكس بالعكس . وهذه الاختلافات غير الجوهرية ربما تعود الى الاختلاف في قالب أي قالب السكّ في مدينة البصرة وأرمينية .

ولعلّ هناك من يتساءل عن دوافع عملية التعريب التي أنجزها الخليفة عبدالمك بن مروان وقد نجح في ذلك وأكمل بناء الدولة العربية الاسلامية . فقد أشار المؤرخون المسلمون وكتاب السير الى هذه العملية وحاولوا بيان أسبابها أو تفسيرها . فذكروا العديد من القصص والروايات

على أوزانها ونقاوتها • فهل يمكن أن يتم ذلك قاد الخليفة عبدالملك بن مروان عملية تعريب والنقود المتداولة في العالم الاسلامي هي دنانير السكة والدواوين وحقق بذلك انجازا عظيما بيزنطية ودراهم ساسانية^(٦) • لهذه الاسباب مجتمعة للامة العربية والعالم الاسلامي •



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامي

(٦) الدكتور عبدالرحمن فهمي ، فجر السكة العربية ص ٥٢ .